الفصل الثالث

الدعوة في مرحلتيها السرية والجهرية

١ - المرحلة السرية للدعوة

(أ) - تحديد وقت الدعوة وأسباب اختياره.

(ب) - مناقشة الروايات التي تناولت ابتداء الدعوة.

(جـ) - الدعوة بين سنة مائة وسنة سبع وعشرين بعد المائة.

(د) - اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه.

٢ - المرحلة الجهرية للدعوة.

- سير الدعوة ومناقشة الروايات التي رويت في ذلك.

والآن وقد أحطنا خبراً بالعلاقة بين العباسيين والأمويين، وأحطنا خبراً كذلك بمراكز الدعوة وجهازها السري فقد بقي علينا أن نصلت الأضواء على الخطوات التي خطاها العباسيون على طريق الدعوة في مرحلتيها السرية والعلنية حتى أدركت الغاية وحققت الهدف. وأول سؤال يدور أو يخطر في بال الباحث هنا هو: متى بدأت الدعوة العباسية، وعلى يدي مَنْ منَ الأئمة خرجت من دائرة الفكر إلى دنيا الحقيقة والواقع؟ والجواب بالنسبة للنقطة الأولى: أن المؤرخين[1] مختلفون في السنة التي كان فيها ابتداء الدعوة، فبعضهم يرى أنها هي السابعة والثمانون من هجرة النبي - عليه الصلاة والسلام - وأن الذي كان على يديه ذلك هو علي بن عبدالله بن عباس، وبعضهم يرى أن ابتداءها قد كان في العام المكمل للمائة وأن الإمام لم يكن هو علي وإنما كان هو ولده محمد. وقد ألمعنا فيما مضى إلى أن علي بن عبدالله بن عباس[2] لم يكن هو الرجل الذي يستطيع الأخذ بأزمة الدعوة وذلك لأمرين:

أحدهما: أنه قد كان رجلاً خفيفاً لا يستطيع كتمان سره ولا إخفاء أمره وأنه كثيراً ما كان يعلن حتى أمام الخليفة الأموي نفسه أن الخلافة صائرة إلى أهل بيته، الأمر الذي أغضب عليه هشام بن عبدالملك وجعله يأمر بجلده بالسياط.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص٦١٦ - ٦١٧.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص١٥٩.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٣٢ - ٣٣٤.
المقريزي: منتخب التذكرة، ص٨٠ - ٨١.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية، جـ٩، ص٣٢١.

والأمر **الثاني هو**[1] أن العداوة قد كانت على أشدها بينه وبين عبدالملك وابنيه الوليد وسليمان من بعده وذلك لأنه قد تزوج من مطلقة عبدالملك وأطلق لسانه فيه، ومثل هذا الرجل لابد وأن يكون محاطاً برقابة شديدة من جانب الأمويين مما يجعل أخذه بأزمة الدعوة أمراً غير ميسور. وقد سبق وذكرت أن الوليد بن عبدالملك قد اتهمه بقتل أخيه سليط، وضربه من أجل ذلك وعذبه بالوقوف تحت الشمس المحرقة في فصل الصيف، ولم يكتف بهذا وذاك وإنما أمر به فأخرج من دمشق إلى الحميمة، وإذا تبين أن علي بن عبدالله بن عباس ليس هو الرجل الذي يصلح لتدبير شؤون الدعوة كان ولده محمد هو الإمام الذي كان ابتداؤها على يديه. ولكن لماذا كان العام المكمل للمائة هو الوقت الذي اختاره العباسيون لابتداء الدعوة؟ والجواب: أنهم قد حددوا ثلاثة أوقات[2] لذلك: **أحدها**: هلاك يزيد، **والثاني**: تمام المائة، **والثالث**: فتق أفريقيا. وقد مر الوقت الأول دون أن يخطو العباسيون الخطوة الأولى في هذا الطريق، ومرجع هذا في تصوري إلى أن الأمة وإن كانت قد نقدت حكم يزيد وشجبت سياسته وكرهته من أجل البيت الأموي عامة والبيت السفياني على سبيل الخصوص، فإن هذه العداوة لم تلبث إلا قليلاً ثم زالت بهلاك هذا الطاغية، واجتماع أهل الشام على مروان بن الحكم، واستطاعة عبدالملك من بعده أن يوحد الصف الإسلامي بعد قضائه على كلٍّ من الزبيرين والخوارج، وتخضيضه لشوكة الشيعة.

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق، جـ٩، ص ٣٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢١.

أما العام المكمل للمائة فإنه كان هو الوقت الأنسب لبدء الدعوة وخروجها من دائرة الفكر إلى دائرة الحقيقة والواقع وذلك لأسباب:

أحدها: أن هذا العام قد حل وعمر بن العزيز[1] - رضي الله عنه خليفة للمسلمين، ونحن نعرف أن هذا الرجل قد نشر العدل، وقاوم الظلم، وفتح باب الحرية على مصراعيه، وإذن فإنه هو الوقت الذي يمكن العباسيين من العمل من غير خوف، والانتشار من غير رهبة ولا رعب. **وسبب ثان**[2] وهو: ما رواه الثقاة من أن الله تعالى يجعل على رأس كل مائة سنة من المسلمين من يجدد لهم دينهم، ويبوئهم سلطانهم.

---

(١) استخلف عمر بن عبدالعزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين، وتوفي يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر.

الطبري: المصدرالسابق، جـ٦، ص ٥٥٠ - ٥٦٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٢.

١ - المرحلة السرية للدعوة :

(أ) تحديد وقت الدعوة وأسباب اختياره :

وقد ذاق المسلمون ما ذاقوا على أيدي بني أمية من الخسف والبغي، فإذا أشيع في الناس أن هذا المجدد قد ظهر كان الإقبال إليه أسرع، وكان الانقياد له أكثروأعظم، وقد كان بنو العباس يتلون في هذا قوله تعالى[1]: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾

فهذه الآية الكريمة تحكي قصة عزير وكيف أن الله تعالى قد أماته مائة عام ثم بعثه ليجدد دعوة موسى (عليه السلام) ويزيل ما شابها وغلب عليها من التحريف والتغيير. وكذلك العباسيون مع بني أمية فإن الله تعالى قد بعث محمد بن علي على رأس هذا القرن ليزيل ظلم بني أمية، ويعيد إلى أهل بيت النبي - ﷺ - ما سلب منهم من حق، وما اغتصب منهم فيما يرون من الأخذ بمقاليد الحكم وأزمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وسبب ثالث : لا سبيل إلى إغفاله وهو أن العصبية القبلية والاضطراب الطائفي قد أخذا طريقهما إلى خراسان، وأنه إذا استغلت الأوضاع المضطربة التي كانت سائدة فيه لصالح الدعوة لنمت وأينعت واستوت على سوقها ولكي يتضح هذا السبب الثالث والأخير، فلابد من تسليط الأضواء على هذا الإقليم الذي اختاره العباسيون ليكون حقلاً للدعوة قبل ابتدائها بفترة كافية من الزمن.

(١) قرآن كريم: سورة البقرة، آية ٢٥٩.

والذي يستعرض الحوادث التي وقعت بساحته منذ هلك يزيد بن معاوية[1] حتى تربع عمر بن عبد العزيز على أريكة الخلافة. ويلاحظ أن العصبية القبلية التي اشتعلت نارها بين اليمنيين والمضريين في البصرة قد استشرت وامتد خطرها حتى ملأ خراسان، وقد أسهم ولاة العراق في تهيئة الجو الملائم لنمو هذه العصبية واستشراء نارها، فقد أسند الحجاج[2] بن يوسف الثقفي ولاية خراسان إلى المهلب بن أبي صفرة، فعمل هذا الوالي على التمكين لقبيلة الأزد وهي إحدى القبائل اليمنية، فقويت وازداد عددها ونفوذها حتى إن يزيد بن المهلب الذي تولى أمر هذه الولاية إثر وفاة أبيه قد كان يتعالى على الحجاج ويستنكف أن يكون تحت سلطانه وهو أزدي يمني، والحجاج قيسي مضري، وقد راح هذا الوالي المتعصب ينحاز إلى قبيلته ويعمل على إنزال الضرر بمضر. ويبدو هذا واضحاً في أن الثائرين على الحجاج من أهل العراق لما لجؤوا إلى خراسان عمد يزيد إلى المضريين فقبض عليهم ودفعهم إلى الحجاج لينالوا العقاب على خيانتهم. وعلى العكس من ذلك تماماً كانت معاملته لليمانيين فقد أطلقهم وتستر عليهم، وأمام هذا التعصب الواضح لم يجد الحجاج بدًا من عزله، وتعيين أخيه المفضل بدلاً منه. وقد يقال هنا لماذا أسند الحجاج هذه الولاية إلى المهلب وإلى أبنائه من بعده وهم يمنيون وهو قيسي؟ والجواب: أن الحرب قد كانت دائرة بين عماله وبين موسى بن خازم وأبيه عبدالله من قبله وهما من يحكم وهي إحدى قبائل

---

(١) كانت وفاة يزيد بن معاوية بقرية من قرى حمص يقال لها حوّارين من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٤٩٩.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

مضر، فكان من السياسة أن يبعث إلى موسى رجلاً من اليمن حتى لا يتهاون في حربه ولا يكف عن ملاحقته ومتابعته حتى يقتل أو يدخل في الطاعة، والدليل[1] على هذا أن المفضل بن المهلب لم يكد يقتل موسى بن خازم حتى عزله الحجاج وعزل المهالبة جميعاً، وأسند الأمر إلى قتيبة بن مسلم[2] أحد أبناء باهلة وهي أيضاً ليست قبيلة مضرية، والسبب في هذا هو أن سياسة أمراء العراق غالباً ما كانت تسند أزمة الأمور في خراسان إلى أحد أبناء القبائل الضعيفة، وذلك حتى تظل العلاقة وثيقة بينه وبين أميره فلا يفكر في مخالفته أو الانتقاض عليه وهذا هو ما كان، فإن سليمان بن عبد الملك لما غضب على الحجاج وأنصاره ومن بينهم قتيبة بطبيعة الحال، وفكر هذا الوالي في الخروج على بيعته، لم يغن عنه جهاده في قتال الأعداء وإنزال الهزائم المتلاحقة بهم، فقد تخلت عنه القبائل ولم يجد له من يقف إلى جانبه لا من اليمن ولا من مضر وكانت نهايته القتل، وعاد المهالبة مرة أخرى إلى خراسان ومضى يزيد في مضايقة مضر فأقصاهم عن المناصب المختلفة في ولايته وجعل عليها طائفة من أقاربه. وهكذا تهيأت الفرصة للصراع بين القبيلتين الكبيرتين في هذا الإقليم.

وكان هذا هو أحد الأسباب كما ألمعنا التي من أجلها اختار العباسيون العام المكمل للمائة موعداً لبدء الدعوة.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٥٨ - ٤١٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٤٢٤ - ٤٢٦.

(ب) مناقشة الروايات التي تناولت ابتداء الدعوة:

وقد سجل الطبري الظروف التي واكبت هذا الوقت الذي خرج فيه العباسيون من التفكير والتخطيط إلى العمل الجاد لتربعهم على أريكة الخلافة في روايات أربع :

إحداها : في أحداث السنة المكملة للمائة .

والثانية : في أحداث السنة الثانية بعد المائة .

أما الثالثة والرابعة : فقد ساق إحداهما في السنة المكملة للثلاثين بعد المائة، وساق الأخرى في السنة الثانية والثلاثين بعدها .

وخلاصة الرواية الأولى(١) أن الإمام محمد بن علي في السنة المكملة للمائة بعث ميسرة العبدي إلى العراق، وبعث محمد بن خنيس وحيان العطار، وأبا عكرمة السراج وهو (أبو محمد الصادق) إلى خراسان وأمرهم بالدعوة إليه وإلى أهل بيته، وأن هؤلاء الثلاثة قد لقوا من لقوا وعادوا بكتب من استجاب لهم إلى ميسرة الذي أرسلها بدوره إلى محمد ابن علي ومضت هذه الرواية فذكرت أن أبا محمد الصادق قد اختار سبعين داعية، وانتقى منهم اثني عشر نقيباً وهم الذين أوردت أسماءهم في الفصل السابق، وقد كتب الإمام محمد لهؤلاء كتاباً أوضح لهم فيه المنهج الذي سوف يسيرون على مقتضاه .

وخلاصة الرواية الثانية(٢) : أن ميسرة العبدي وهو نائب الإمام في العراق أرسل رسله في السنة الثانية بعد المائة إلى خراسان، لإظهار أمر

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢ .

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٦١٦ - ٦١٧ .

الدعوة بها، وأن هؤلاء قد امتثلوا للأمر، غير أنهم قد وقعوا في يدي الوالي وهو يومئذ سعيد الحرشي أو (سعيد خذينة) كما كانوا يسمونه وقد كاد أن يبطش بهم لولا أنهم ادعوا أنهم ما جاؤوا دعاة وإنما جاؤوا تجاراً، ولأن أكثرهم فيما يظهر قد كان من أهل اليمن فإن ربيعة واليمن كليهما قد توسطوا بينهم وبين الأمير حتى أطلق سراحهم.

وحاصل الثالثة[1]: وهي ما رواه الطبري عن أبي الخطاب في السنة المكملة للثلاثين بعد المائة أن الإمام قد بعث رسوله إلى خراسان في السنة الثالثة أو الرابعة، وأنه أمره بالدعوة إلى الرضا من آل البيت ورسم له المنهج الذي لا يسعه الانحراف عنه، وصدع الرسول بالأمر، ولما اكتمل الدعاة سبعين اختار منهم الإمام اثني عشر نقيباً.

وتبقى الرواية الرابعة[2]: وهي للمدائني وحاصلها أنه لما قتل يزيد بن أبي مسلم وانتقضت البربر أرسل الإمام رسولاً إلى خراسان، وأمره بالدعوة إلى الرضا من أهل البيت. ولا خلاف بين هذه الرواية وسابقتها في الوقت لأن قتل يزيد وانتقاض أهل أفريقيا قد كان في السنة الثانية أو الثالثة بعد المائة.

وبعد هذا العرض الواضح لهذه الروايات الأربع: يمكننا أن نقرر أن ابتداء الدعوة لبني العباس قد كان في السنة المكملة للمائة للأسباب التي أوردناها آنفًا. أما ما يدعيه صاحب البداية والنهاية وغيره من أنه قد كان في السنة السابعة والثمانين فقولٌ لا حجة له ولا دليل عليه.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٦١٦.

ويبقى أن نتساءل إلى أي بيت كانت الدعوة أ إلى البيت العباسي وحده، أم إلى البيت الهاشمي على سبيل العموم؟ ومن الذي اختار النقباء الذين سوف يتسلمون مقاليد الدعوة في خراسان أهو الإمام محمد بن علي، أم هو أحد المخلصين من رجاله؟ وأخيراً ما هو الأسلوب الذي كان يلتزمه الدعاة في التعريف بمبادئهم واستقطاب الناس حولها، وهل كان لهم منهج يلتزمونه أم أن كل نقيب أو داعية قد كان يسير وفق ما يقتضيه وما تحتمه عليه الظروف؟ والجواب بالنسبة للنقطة الأولى: هو أن أكثر المؤرخين[1] يدعون أن الدعوة قد كانت للرضا من آل البيت من غير تحديد للشخص، ولا وصف للبيت، وحجتهم في هذا ما رواه الطبري عن أبي الخطاب، وأبي علي المدائني كليهما من أن محمد بن علي قد أمر رسله في خراسان بالدعوة إلى الرضا من أهل البيت، وحجة ثانية وهي أن عدم الإفصاح عن الشخص والبيت المدعو إليهما من شأنه أن يبقي على وحدة بني هاشم ويقطع الطريق على الخلاف والشجار بينهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يبقي هذه الدعوة سراً مستوراً عن بني أمية وأنصارهم في خراسان إذ لو عرفوا شخص الإمام أو بيته لجدوا في البحث عنه والقبض عليه فتخفق الدعوة وتجهض ولما تبلغ أهدافها بعد. ومع وجاهة هذا الرأي وسلامة منطقه فلست أجد في نفسي ميلاً إليه وذلك لأمرين:

أحدهما: ما رواه الطبري[2] في أحداث السنة المكملة للمائة وهو أن

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ١٥٩.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢.

الإمام محمد بن علي أرسل ميسرة إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس، وحيان العطار، وأبا عكرمة السراج، وأمرهم جميعًا بالدعاء إليه وإلى أهل بيته.

وثانيهما: ما رواه الطبري[1] في أحداث السنة التاسعة بعد المائة عن أبي علي المدائني وهو أن محمد بن علي أرسل زياداً أبا محمد إلى خراسان وقال له: ادعُ الناس إلينا وانزل في اليمن والطف بمضر، ونهاه عن رجل من أبرشهر يقال له غالبًا، وأن غالبًا يفضل آل أبي طالب ويدعو إليهم، وزياداً يفضل آل العباس ويدعو إليهم كذلك. ومعنى هذا أن الإمام قد أمر زياداً بالدعوة إليه، وإلى أهل بيته تماماً كما أمر رسله المذكورين من الرواية السابقة. وأن زياداً قد كان يدعو إلى بني العباس وكان غالب يدعو إلى بني أبي طالب. إذن فالروايات متناقضة حول هذه القضية، فبينما يقرر بعضها أن الدعوة قد كانت للرضا من آل البيت يقرر البعض الآخر أنها قد كانت إلى محمد بن علي وإلى البيت العباسي ولا حل لهذا التناقض في تصوري إلا بأن يقال إن الإمام محمد بن علي قد أطلع المخلصين من رجاله على حقيقة الأمر وهو: أن الدعوة له ولأهل بيته وأمرهم أن يفضوا بذلك إلى من يطمئنون إليه ممن سوف يشركونهم في إدارة أزمة هذه الدعوة. أما العامة ومن هم على مثل حالهم فينبغي أن يكون ذلك سراً مطويًا عنهم، وألا يعلموا إلا أن الدعاء للرضا من أهل البيت من غير تحديد، وعلى هذا الأساس يمكن الجمع بين هذه الروايات المتناقضة. وقد يقال إذا كان هذا صحيحاً فكيف أمر الإمام زياداً أبا محمد بالدعوة إليه وإلى أهل بيته في

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٩ - ٥١.

السنة التاسعة بعد المائة؟ والجواب: أن ذلك قد كان لضرورة حتمتها الظروف وهي أن غالباً قد كان يؤثر آل فاطمة ويدعو إليهم، فكان على زياد أن يصرح بهذا السر بصفة مؤقتة حتى تتغير الظروف التي اقتضاها وهذا هو ما كان. فإن الدعاء قد عاد إلى الرضا من آل البيت بعدما ذهب غالب وعادت الظروف إلى طبيعتها في خراسان.

وننتقل إلى النقطة الثانية: وهي عن اختيار النقباء الاثني عشر وما إذا كان ذلك عن طريق الإمام أم عن طريق أحد المخلصين والأعوان، وقد اختلف جواب الطبري بالنسبة لهذه القضية فيذكر في روايته[1] في أحداث السنة المكملة للمائة أن أبا عكرمة السراج وهو (أبو محمد الصادق) هو الذي اختار النقباء للإمام.

وفي روايته في أحداث السنة المكملة للثلاثين بعد المائة: يذكر أن الدعاة لما بلغوا سبعين اختار الإمام منهم اثني عشر نقيباً. ولا تعارض بين هاتين الروايتين إذا ما أُمعن النظر فيهما لأنه يمكن أن يقال إن أبا محمد الصادق عرض أسماء النقباء الاثني عشر على الإمام كما يقرر الطبري في الرواية الأولى، وإن الإمام قد وافق عليهم وأقر اختياره لهم، كما تقرر الرواية الثانية. وتبقى النقطتان الثالثة والرابعة فأما أولاهما: فهي حول الأسلوب الذي كان الدعاة يلتزمونه في استقطاب الناس إليهم وإغرائهم بمتابعتهم وموافقتهم، ويقول المؤرخون: إنهم كانوا يرتدون أزياء التجار ويتظاهرون بالتقوى والصلاح وإن قلوبهم قد أشربت حب النبي - عليه

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.

الصلاة والسلام - وأهل بيته، ثم يتندمون لما أصابهم من الأذى، وما صب على رأسهم من البطش والعذاب، وكيف أنهم قد احتملوا من ذلك ما لا يحتمله غيرهم. فأريقت منهم الدماء وضربت الرقاب، وحملت نساؤهم على الأقتاب من غير غطاء ولا وطاء حتى مزقوا كل ممزق وصاروا أحاديث تمشي بها الركبان ويحكيها الزمان للزمان. ويذكرون في هذا الحسين بن علي[1]، وزيداً وابنه يحيى وكيف قتل منهم من قتل، وصلب، وأحرق منهم من أحرق حتى النساء فقد كن تقتل أولادهن بين أيديهن وينازعن حليهن وثيابهن حتى ينزعن منهن ثم يتركن عاريات لا يسترهن ساتر ولا يحميهن حام، إلى غير ذلك مما كان يبكي العيون ويزيد الشجون ويفعم النفوس حزناً ولوعة. وكلما كان الداعي أبين وأفصح كلما كان تأثيره أشد وأوقع وكان كلامه أنكى وأوجع، حتى صارت القلوب مملوكة لهم يحركونها كما يشاؤون ويوجهون منها كما يريدون.

وتبقى النقطة **الرابعة والأخيرة**: وهي حول ما إذا كان لهؤلاء الدعاة منهج يسيرون عليه وخطة لا يسعهم مخالفتها والابتعاد عنها، أم أن الظروف هي التي كانت تقودهم وأن كل داعية قد كان يترك وشأنه فيما يراه أفضل في اجتذاب الناس واستقطاب أفئدتهم ونفوسهم، ولا خلاف بين المؤرخين في أن الإمام محمد بن علي قد وضع لهؤلاء الدعاة السبعين المنهج ورسم لهم الخطة، غير أن المصادر التي بين أيدينا لم تفصح عن شيء مما تضمنته كتب الإمام إلى هؤلاء الدعاة. غير أن الذي يتتبع أخبار أبي مسلم

---

(١) كانت موقعة كربلاء في سنة إحدى وستين.
الطبري: المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٠٠ - ٤٦٧.

وغيره من وجوه الدعاة والنقباء يتبين له الكثير من وصايا الإمام في ذلك، وقد أمطنا النقاب عن شيء من هذا في الجواب عن السؤال السابق، وأوضحنا أن الدعاة كانوا يستغلون ظلم الأمويين للموالي من جانب واضطهادهم لأهل البيت وسلبهم حقوقهم من جانب آخر في إدراك ما كانوا يرمون إليه من غاية ويقصدون من هدف. يضاف إلى هذا وذاك لفت أنظار سكان هذا الإقليم إلى قداسة الدم الهاشمي وأن الحكم منوط بأهل هذا البيت على أساس أنه حق لهم، وأن خروجه من أيديهم ظلم لا ينبغي السكوت عنه ولا التقصير في إرجاعه إلى أهله، وقد كان تخفِّي الدعاة في أزياء التجار وأصحاب المهن والصناعات ينطلي في البداية على العمال الأمويين في خراسان. فقد روى الطبري[1] في أحداث السنة الثانية بعد المائة أن عمرو بن بجير بن ورقاء السعدي قد أتى سعيد خذينة وقال له: إن هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح، فبعث إليهم فأتى بهم فقال: من أنتم؟ قالوا: أناس من التجار؟ قال: فيم هذا الذي يحكى عنكم؟ قالوا: لا ندري، قال: جئتم دعاة؟ فقالوا: إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا، فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاءه أناس من أهل خراسان، جلهم من ربيعة واليمن، فقالوا: نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه، فخلى سبيلهم.

وواضح من هذه الرواية أن الدعاة قد كانوا يمارسون عملهم في حذر شديد وسرية تامة، وأنهم كانوا يمشون في أزياء التجار ويتظاهرون بالصلاح

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص٦١٦ - ٦١٧.

الذي لا يدع مجالاً للارتياب بهم ولا للشك فيهم، وأن التعصب القبلي قد كان هو أحد الأسباب التي أسهمت في تأمين سبيل هؤلاء الدعاة عليهم.

(جـ) الدعوة بين سنة مائة وسنة سبع وعشرين بعد المائة:

وقد تتبع الطبري وغيره الأحداث التي نزلت بساحة الدعوة منذ ابتدائها في العام المكمل للمائة حتى وضعت مقاليدها بين يدي أبي مسلم في السنة السابعة والعشرين بعد المائة، وإن كان هذا المؤرخ الكبير قد تخلى عن طريقته في ذكر الأسانيد أكثر هذه الفترة واعتمد على ذاكرته، ولست أدري على وجه القطع ما هو السبب الذي حدا به إلى سلوك هذه السبيل، وهل هو إغفال الرواة للدعوة في هذه الفترة لأنها كانت محاطة بالسرية التامة والكتمان الشديد، أم أن السبب في هذا هو أن كل ما كتب عن الدعوة في هذه الفترة قد فقد، وأن المؤرخين قد اعتمدوا على ما تتناقله ألسنة العامة وأفواه الجماهير. وأيًا ما كان فقد أوردنا فيما مضى في هذا الفصل ما ذكره الطبري وغيره حتى العام السادس بعد المائة، وفي العام السابع ذكر صاحب تاريخ الرسل والملوك[1] أن بكير بن ماهان وجه أبا عكرمة السراج، وأبا محمد الصادق، ومحمد بن خنيس، وعمر العبادي، في عدة من شيعهم ومعهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان. وأن رجلاً من هذه قد وشى بهم عند أسد بن عبد الله القسري فقبض على عامتهم ومنهم أبو عكرمة ومحمد بن خنيس ونجا عمر

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠.

العبادي، وقد كان جزاء هؤلاء القتل والصلب، وقد أخبر عمر كثيرَ بما وقع فكتب به إلى الإمام، فكان جوابه: أحمد لله الذي صدَّق مقالتكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل.

وفي تسجيل هذا المؤرخ لأحداث السنة التاسعة بعد المائة[1] ذكر أن الإمام بعث زياداً أبا محمد إلى خراسان وأوصاه أن ينزل في اليمن ويلطف بمضر، وحذره رجلاً من أبرشهر اسمه غالب، لأنه مفرط في حب بني فاطمة، وامتثل زياد أمر الإمام وراح يطعم الطعام، ويدعو إلى بني العباس وجاءه غالب فاحتدم بينهما الجدل، زياد يدعو إلى بني العباس، وغالب يدعو إلى بني فاطمة، ولأن زياداً قد كان أقوى مراساً وأوضح منطقاً، فإن غالباً قد غادره ومضى إلى سبيله، ولم يخف[2] أمر زياد على أسد بن عبدالله فقد وشى الوشاة بينه وبينهم فقبض عليهم، واستطاع أن يُلبس الأمر عليه حتى أفرج عنه، غير أن الوشاة ما زالوا بأسد حتى قبض على زياد مرة أخرى ومعه تسعة من رجاله، وبعد حوار ساخن بين زياد وبين أسد أمر بهم جميعاً فقتلوا ولم يستثن سوى غلامين اثنين لصغر سنهما. وفي رواية أخرى أن أسداً قد خير هؤلاء العشرة بين ما هم عليه وبين الطاعة لبني أمية، فآثر منهم ثمانية البقاء على ما هم عليه فقتلوا وجاء الآخران في اليوم الثاني وطلبا من أسد أن يلحقهما بإخوانهما ففعل. وجاء في هذه الرواية أن زياداً في لقائه الأول بأسد قد أخبره أنه رجل من التجار، وأنه وزع أمواله على الناس وسوف لا يبقى في خراسان إلا ريثما تعود إليه أمواله، ومضى

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٠٧ - ١٠٨.

صاحب الأمم والملوك[1] فذكر أن كثيِّراً قد ورث زياداً في الدعوة وأنه ظلَّ كذلك عاماً أو عامين حتى جاء خداش فغلبه وأخذ بأزمة الدعوة بدلاً منه، وصمت صاحب الأمم والملوك فلم يتحدث حول الدعوة والدعاة حتى العام السابع عشر بعد المائة، ثم ذكر كما هي العادة في هذه الفترة من غير إسناد إلى أحد أن أسد بن عبدالله[2] أخذ جماعة من دعاة بني العباس بخراسان فقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس بعضهم، وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، ولاهز بن قريظ، وخالد بن إبراهيم، وطلحة بن زريق، فأتى بهم فقال: لهم يافسقة ألم يقل الله تعالى﴿ **عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** ﴾ فذكر أن سليمان بن كثير قال: أتكلم أم أسكت؟ قال: بل تكلم، قال: نحن والله كما قال الشاعر:

لو بغـــير الماء حلقي شـــرق كنت كالغصان، بالماء اعتصاري

أتدري ما قصتنا؟ صيدت والله العقارب بيدك أيها الأمير، إنا أناس من قومك، وأن هذه المضرية إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على قتيبة ابن مسلم، وإنما طلبوا بثأرهم.

فتكلم شريك بن الصامت الباهلي وقال: إن هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة، فقال مالك بن الهيثم: أصلح الله الأمير أينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره، فقال: كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن والله كنا أشد الناس عليه، فبعث بهم أسد إلى الحبس، ثم دعا عبدالرحمن بن نعيم فقال

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق: جـ٧، ص ١٠٧ - ١٠٨.

له: ما ترى؟ فقال: أرى أن تمنَّ بهم على عشائرهم، فقال: فالتميميان اللذان معهم، قال تخلي سبيلهما، قال: إنا إذاً من عبد الله بن يزيد نفي، قال: كيف تصنع بالربيعي؟ قال: أخلي والله سبيله. ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار وأمر باللجام أن يجذب فجذب حتى تحطمت أسنانه، ثم قال: اكسروا وجهه، فدق أنفه ووجأت لحيته فندر ضرس له. ثم دعا بلاهز بن قريظ، فقال: لاهز والله ما في هذا الحق أن يصنع بنا هذا، وتترك اليمانيين والربيعيين فضربه ثلاثمائة سوط ثم قال: اصلبوه، فقال الحسن بن زيد الأزدي: هو جار لي وهو بريء مما قذف به، فقال: فالآخرون قال: أعرضهم بالبراءة فخلي سبيله.

وتبقى رواية أوردها صاحب هذا الكتاب نفسه في العام الثامن عشر بعد المائة وخلاصتها أن بكير بن ماهان[1] بعث عمار بن يزيد داعية إلى خراسان فنزل في مرو وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي، ثم ما لبث أن تكذب وغيَّر ما دعا إليه وأظهر الخرمية ورخص للناس بعضهم في نساء بعض، وقد انكشف أمره لأسد فوضع عليه العيون حتى أخذه وأمر بقطع يديه ورجليه ثم قتله وصلبه.

وواضح من هذه الروايات التي عرضها صاحب تاريخ الأمم والملوك أن أئمة الدعوة ورؤساءها في خراسان قد كانوا يسيرون إليها بتوجيه مباشر من الإمام مرة ومن نائبه على العراق مرة أخرى، ولا تناقض في ذلك فقد أوضحنا في (الفصل السابق) أن الذي كان يرسل الدعاة إلى خراسان هو

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٠٩.

النائب في العراق، ولأن هذا المرسال قد كان لا يتم إلا بناء على رأي الإمام وموافقته فإن المؤرخين كانوا ينسبون الإرسال إلى الإمام مرة وإلى نائبه في العراق مرة.

وواضح من هذه الروايات أيضاً أن الداعية قد كان يأمر بالدعوة إلى الرضا من آل البيت حيناً وبالدعوة إلى محمد بن علي بن عباس حيناً آخر، وقد أمطنا النقاب فيما سبق عن الأسباب التي بررت هذا التغيير، ويبقى في هذه الروايات أن الدعاة قد كانوا يظهرون في أزياء التجار أو أصحاب الحرف، وأنهم على الرغم من تكتمهم الشديد فقد كانوا موضع المراقبة الدقيقة من العمال الأمويين، وأنهم كانوا إذا انكشف أمرهم وانكشف سرهم لا تقتصر عقوبتهم على اللوم والحبس وحسب، وإنما كانت تصل إلى القتل والصلب أيضاً. وأخيراً ما كان من أمر خداش. وما أصاب الدعوة العباسية على يديه من التحريف والتبديل. فقد دعا كما عرفنا إلى الخرمية ورخص للبعض في نساء البعض، ورغم أن هذا كله إنما يحدث بناء على أوامر الإمام وتوجيهاته وقد أمطنا الستار عن حقيقة هذا الأمر وبراءة الإمام والعباسيين منه.

وبعد هذه الروايات عن الدعوة والدعاة في العشرين سنة الأولى من مجدهم راح صاحب الرسل والملوك يحدثنا حول نقطتين:

إحداهما: العلاقة بين الإمام وبين الدعاة في خراسان.

والثانية: اكتشاف أبي مسلم وإسناد مقاليد الدعوة إليه.

فبالنسبة للنقطة الأولى ذكر الطبري[1] أن العلاقة قد ساءت بين الإمام وبين الدعاة في خراسان، وأن ذلك قد كان منذ أذاع خداش ما أذاع، وقد التزم الإمام الصمت تجاه هؤلاء الدعاة فلم يكتب إليهم كتاباً ولم يرسل إليهم رسولاً، ولما طال الوقت تبين للقوم أن الإمام لا يمكن أن يغير سلوكه معهم إلا وهو واجد عليهم، ولكي يعرفوا الحقيقة فإنهم قد أوفدوا إليه سليمان بن كثيِّر الذي التقى به وعرف منه أن الشيعة في خراسان قد أخطؤوا عندما استمعوا إلى خداش وانقادوا له، ولعنه ولعن من هم على دينه، ودفع إليه كتاباً مختوماً ولما عاد الرجل إلى خراسان وفتح الكتاب لم يجدوا فيه شيئاً غير البسملة وحدها فتأكدوا من أن الإمام غاضب عليهم وأنه لم يصفح بعد عنهم، ولم يكتف الإمام بذلك وإنما أرسل إليهم نائبه في العراق بكير ابن ماهان ومعه كتاب يقول فيه: إن خداشاً قد حمل شيعته على غير مناهجه. ولأن هؤلاء الدعاة لم يكونوا يعرفون هذا النائب فإنهم قد استهزؤوا ولم يستمعوا إلى كلامه، ومعنى هذا أنه لم يكن يعرف نائب الإمام في العراق من الدعاة في خراسان سوى واليهم وحسب، وذلك إمعاناً في الكتمان ومحافظةً على السرية. ومن أجل ذلك فإن الإمام لم يغضب لما كان من الدعاة وإنما أعاده إليهم مرة أخرى ومعه من العلامات ما من شأنه أن يهديهم إليهم، فقد أرسل لكل واحد منهم عصا مضببة بالحديد أو الشبه، ولم يبعث معه شيئاً آخر، وفهم الدعاة ما يرمز إليه الإمام وهو أنه غاضب عليهم، وأن الموعظة وحدها لا تكفيهم وإنما هم في حاجة إلى تأديب يدوي. وهكذا لفت الإمام نظر الشيعة إلى الحذر والتروي في قبول

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٤١ - ١٤٢ع.

من يأتي إليهم باسم الإمام من جهة وفي الرضوخ لما يدعوهم إليه من جهة ثانية، ولا مراء في أن غضب الإمام على شيعته وحجب رسائله عنهم دليل ظاهر وحجة قاطعة على براءة الإمام مما أدخله خداش على دعوة بني العباس، وأنهم لم يكونوا كما يدعي صاحب تاريخ الدولة العربية لا يبالون بالوسيلة في سبيل إدراك الغاية حتى ولو كانت هي الدين نفسه. وبالنسبة للنقطة الثانية[1] وهي:

(د) اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه:

اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه يحدثنا صاحب الأمم والملوك أن الإمام محمد بن علي قد عرض على سليمان بن كثير أن يتولى مقاليد الدعوة في خراسان، وأنه قد اعتذر عن تقليد هذه المهمة، واقترح عليه أن يختار في الوظيفة الخطيرة رجلاً من أهل بيته، وجاء في رواية أخرى[2] إنه أي الإمام قد عرض هذه الوظيفة على رجل آخر، وأن جوابه كان شبيهاً بجواب سابقه، وهذا أمر طبيعي فإن خداشاً كما أسلفنا قد خان الدعوة وانحرف عن منهجها، وأساء إلى الإمام نفسه وذلك بما كان يعلنه من أن ما ينادي به إنما هو أمر الإمام وبتفويض منه، وقد أثبتنا فيما مضى براءة محمد بن علي مما ادعاه خداش، وغضبه على الدعاة في خراسان من أجله وإرساله نائبه في العراق إليهم بما يؤكد لهم هذا الغضب، وأنهم ليسوا في حاجة إلى العتاب الكلامي وحسب، وإنما هم في حاجة إلى التأديب باليد، وإذاً فإن الحاجة ماسة، والضرورة مقتضية لتلافي ما وقع وإسناد مقاليد

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٤٤.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٣، ص ٢٢٠.

الدعوة في خراسان إلى رجل يطمئن إليه الإمام، ويثق في كفاءته وحسن قيادته، وهذا هو السر في عرضه هذا الأمر على سليمان بن كثير وغيره ممن يطمئن إليهم، ولا يشك في كفاءتهم وإخلاصهم، ولأن قيادة الدعوة بعد خداش قد كانت من الصعوبة والخطورة بمكان، فقد اعتذر عنها هذان الداعيان ونصحا الإمام بإسنادها إلى رجل من أهل بيته لتكون الثقة فيه أكمل ويكون الانقياد إليه أكثر وأسرع، ومن أجل هذا اختار الإمام أبا مسلم الخراساني لهذه المهمة الصعبة، وأحاطه بما يضمن له بلوغ الهدف، وتحقيق الغاية، والوصول بالدعوة إلى المرفأ المنشود، وينبغي أن يكون مفهوماً أن لفظ أبي مسلم ليس هو الاسم الحقيقي لهذا الرجل وإنما هو اسمه الحركي، وأما اسمه الحقيقي فإن الروايات فيه مختلفة فهو عبدالرحمن[1] بن مسلم عند فريق، وهو إبراهيم بن يسار[2] عند فريق آخر، وكما اختلفت الروايات في اسمه فإنها قد اختلفت كذلك في نسبه، وفي المكان الذي ولد فيه، وفي ما إذا كان من الأحرار أو العبيد، وليس يعنينا من هذه الاختلافات سوى الاختلاف في نسبه، وفيما إذا كان من الرقيق أو الأحرار. فبالنسبة للنقطة الأولى: اختلفت الروايات فذهب بعضها إلى أنه من أصل فارسي أو كردي، وذهب بعضها إلى أنه عربي هاشمي وعلى سبيل التحديد هو ابن سليط بن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - والذي يقارن بين هذه الروايات التي تناولت نسب الرجل يجد

---

(١) البغدادي: تاريخ بغداد جـ ١، ص ٢٠٧.
ابن قتيبة: المعارف ص ٤٢٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١، ص ٦٧.
الإسفراييني: الفرق بين الفرق ص ٢٥٦.

نفسه مدفوعاً إلى ترجيح أنه عربي عباسي وذلك لوجوه.

أحدها[1]: ماسبق وذكرنا من أن سليمان بن كثير لما عرضت عليه قيادة الدعوة في خراسان اعتذر عنها، ونصح الإمام محمداً أن يوليها رجلاً من أهل بيته.

والثاني[2]: أنه لما ظهر أبو مسلم في خراسان كان الناس يبايعونه على اعتبار أنه رجلٌ من أهل البيت.

والثالث[3]: أن أبا مسلم نفسه كان يعلن أنه ولد سليط بن عباس، ولم يرو أحدٌ من المؤرخين أن الإمام أو غيره من العباسيين قد أنكر عليه ذلك أو نهاه عنه اللهم إلا ما جاء في الحوار الذي كان بينه وبين الخليفة المنصور[4]، فقد أنكر عليه هذا الادعاء واعتبره أحد الأسباب المبررة لقتله، غير أن هذا الإنكار لا ينهض دليلاً على أن الرجل قد كان كاذباً في هذا الادعاء؛ لأنه قد كان في اللحظات السابقة على قتله والتي لم تكن تمكنه من الدفاع عن نسبه وإثبات صدق ادعائه. وثم وجهان آخران.

أحدهما: أن الإمام محمداً ما كان ليدع الأحرار المخلصين من رجاله من أمثال سليمان بن كثير وغيره، ويعهد بقيادة الدعوة في هذا الوقت العصيب إلى رجل مغمور لا يعرف له نسب ولا يدري أهو من الأحرار أو

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص ٣٤٤.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٥٥.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص ٤٢٠.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٩١.

العبيد، بل إن المنطق يحتم ألا يختار الإمام محمد وهو من هو في سياسته وكياسته لهذه المهمة الخطيرة إلا رجلاً من أهل بيته حتى تكون الثقة به أعظم والاطمئنان إلى إخلاصه وعدم خيانته أشد وأوثق، ويبقى الوجه الأخير: وهو ما رواه الطبري وغيره[1]. من أن أبا مسلم عرض على الإمام محمد أنه رأى أوصافه مطابقة لما عنده في الكتاب الذي كان يحتفظ به والذي كان يحتوي على أسرار الدعوة في حاضرها ومستقبلها، ولا جدال في أن هذا الكتاب لا وجود له، وأنها فرية ليس إلى تصديقها من سبيل، وقد مر بنا مناقشة[2] هذا الادعاء وغيره، وكيف أنه يتنافى وما جاء في القرآن والسنة من أن الله تعالى قد احتفظ لنفسه بعلم الغيب وأنه لم يطلع عليه أحد من خلقه، وإذن فادعاء أن الإمام محمداً اختار أبا مسلم بناء على هذا الكتاب لا أساس له من الصحة، وإذا انتفى هذا ثبت أن اختياره له لتولي أمر الدعوة في خراسان إنما هو لأنه رجل من أهل البيت العباسي الذي لا يهمه شيء بقدر ما يهمه أن تبلغ الدعوة هدفها وتحقق مقصدها وغايتها. والذي يراجع ما جاء في الطبري[3] وغيره من أخبار أبي مسلم يلاحظ أن الإمام قد اختاره وهو غلام حدث لم يبلغ العشرين من عمره، غير أنه لم يبعثه لقيادة الدعاة وهو في هذا السن، وإنما كان يبعثه إلى خراسان في حوائجه حتى إذا اشتد

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٣٢.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٣٨.
البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١٠، ص ٢٠٧.
الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) راجع الفصل الثاني.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٠.

عوده، واكتملت تجربته قلده هذه الوظيفة، وقد جاء في الطبري[1] وغيره أن بعض الدعاة قد اعترضوا عليه لحداثة سنه وقلة خبرته وخوفهم من أن تصاب الدعوة والدعاة إذا هو تولى القيادة وأخذ بالزمام وأعادوه أدراجه، غير أن خالد بن إبراهيم لما حضر لم يعجبه ما كان من هؤلاء، وحاور القوم حتى أقنعهم بخطئهم. وهكذا أعاد الرجل وتولى أزمة الدعوة والدعاة. وكان ذلك في العام السابع والعشرين بعد المائة. ولأن الإمام[2] قد كان يدرك أن إقامة أبي مسلم في خراسان سوف تطول، وأنه في حاجة إلى من يظاهره ويقف إلى جانبه ولا سيما في الفترة الأولى من إرساله إلى خراسان، فإنه قد زوجه من ابنة أحد البارزين من الدعاة وهو أبو النجم وساق إليه مهرها من ماله، وكتب إلى النقباء بالسمع والطاعة له، ولا شك في أن هذا العمل من الإمام قد ضمن الاستقرار والعون لأبي مسلم معاً. وأيًا ما كان فإن الرجل[3] لم يستقبل من النقباء في هذا الإقليم استقبالاً حسناً، فقد استصغروا سنه واستضألوا تجربته ولم يذعنوا بالسمع والطاعة له، وكان سليمان بن كثير كما أسلفت هو الذي نصح زملاءه بذلك، ويختلف المؤرخون فيما كان بعد رد أبي مسلم، فيروي الطبري: أن القوم قد بعثوا إليه وأعادوه بعدما أنبهم داود بن إبراهيم. ويذهب صاحب

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٣٤.
ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٩٥.
(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

الإمامة والسياسة[1] إلى أن أبا مسلم قد عاد أدراجه وأنه قد أخبر الإمام إبراهيم بما كان من النقباء بالنسبة له، وقد كان إبراهيم قد خلف أباه محمداً في الإمامة بعد وفاته. وسواءٌ أصح ما رواه الطبري، أم أن ما رواه صاحب الإمامة والسياسة قد كان هو الصحيح، فإن إبراهيم الإمام قال لأبي مسلم أمام ابن كثير ومن حضر من كبار الدعاة « إنك[2] يا أبا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي، انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم معهم، وانظر هذا الحي من مضر، فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره، ومن وقع في نفسك منه تهمة، فقال: أيها الإمام فإن وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك؟ فقال: أحبسه حتى أستبرئه؟ قال: لا السيف السيف، لا تتق العدو بطرف. ثم قال للشيعة: من أطاعني فليطع هذا، يعني أبا مسلم، ومن عصاه فقد عصاني، ثم قال: إن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ، يعني سليمان بن كثير ».

وواضح من هذا النص أن الإمام قد أعلن أمام من حضر من الدعاة أن أبا مسلم رجل من أهل بيته، وأن أزمة الشيعة في خراسان قد أصبحت بين يديه، فطاعته طاعته، ومعصيته معصيته، وأن سليمان بن كثيِّر هو رأس

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٣٤.
ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٩٥.

الدعاة وأشدهم إخلاصاً بعده، لهذا فإنه قد نصحه بعدم مخالفته. أما ما بقي من وصية الإمام لأبي مسلم فقد سبق وأشرت إليها فيما مضى، وبينّا أن الإمام قد كان يعتبر المضريين هم أعداؤه التقليديون وهم الذين لا ينبغي التسامح معهم إذا حدثت من أحدهم مخالفة، وهذا أمر طبيعي فإن المضريين يستشرفون للخلافة؛ لأنها في قريش، ويجنحون إلى بني أمية.

ويبقى قول الإمام إذا استطعت ألا تدع في خراسان أرضاً فيها عربي فافعل، وأيما غلام عربي بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله. فإن هذا الكلام قد كان من الإمام على سبيل المبالغة والإمعان في الحذر والاحتياط والدليل على هذا: أن الإمام محمداً، وإبراهيم من بعده قد استعانوا بالعرب وعهدوا إليهم بالمراكز الرفيعة في إدارة شؤون الدعوة.

وقد مر بنا أن ثمانية من النقباء الاثني عشر قد كانوا من العرب، وأن أبا مسلم نفسه قد كان من العرب، وحتى القائد العام الذي فتح البلاد أمام الدعوة العباسية من خراسان حتى العراق، قد كان من العرب أيضاً وهو قحطبة بن شبيب، وولداه الحسن وحميد من بعده، ثم إن الدعوة العباسية قد نمت وترعرعت في قرى خزاعة في خراسان وهي قبيلة عربية، والسر في ذلك هو هذه العلاقة الوثيقة التي تربط خزاعة بالبيت الهاشمي، فقد وقفت هذه القبلية إلى جوار عبدالمطلب وهو يطلب حقه من نوفل وعبدشمس، وانعقد بينهما الحلف الذي نوَّه عنه زعيمه الذي أقبل إلى رسول الله- ﷺ -، قبيل فتح مكة، وقد ظلت خزاعة ترعى هذا الحلف مع أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ومع العباسيين في خراسان، وصفوة القول أن الإمام لم يكن يقصد من مقالته هذه كراهية العرب عامة، ولكنه

كان يعني بني أمية ومن والاهم من مضر .

وعلى كل حال فإن أبا مسلم قد امتثل لأمر الإمام إبراهيم ، وتوجه إلى خراسان وراح يدعو في سرية تامة إلى الرضا من أهل البيت ، وقد كان الجو مهيئاً له ، فقد كان الموالي يكرهون الحكم الأموي ويتطلعون إلى اليوم الذي يتخلصون فيه منه ، وكان الصراع على أشده بين العرب المضرية منهم واليمانية ، وكان ما أصاب زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى[1] في عهد هشام بن عبدالملك قد أثار النفوس وهيَّج المشاعر والعواطف وزاد الناس للأمويين كرهاً إلى كره ، وقد استغل أبو مسلم هذا كله فأثار أحقاد الموالي ، وهيَّج حفائظهم ، وادعى أنه واحد منهم يسره ما يسرهم ، ويؤلمه ما يؤلمهم ، وراح يصور مدى الخسف الذي نزل بساحتهم ، والظلم الذي أناخ عليهم ، فذهب بمنزلتهم وهم أرفع الأمم وألبسهم ثياب الخسف وهم أعز الشعوب ، وعلى مثل هذا المنوال نسج بالنسبة لأهل بيت النبي - عليه الصلاة والسلام - فراح يبين كيف اغتصبت حقوقهم ، وكيف انتهبت أموالهم وأريقت دماؤهم ، وأزهقت أرواحهم على يدى عبيدالله بن زياد في كربلاء ، وعلى يدي يوسف بن عمر بالنسبة لزيد بن علي وابنه يحيى ، وكان يتعقب كل من شارك في دم هذا الأخير فيسكنه السجن أو يسكنه القبر .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص ١٨٠ - ١٩١ .
ابن الأثير : الكامل في التايخ ، جـ ٤ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .

٢ - المرحلة الجهرية للدعوة :

أما ما كان منه بالنسبة للصراع الذي كان بين اليمن ومضر، فسوف أرجيء الحديث عنه إلى حينه. بهذه الآثار وهذا التحريض وهذا العزف على أوتار الأسى والحزن على ما أصاب آل بيت النبي - ﷺ - على أيدي الأمويين، واستطاع أبو مسلم أن يستقطب الخراسانيين وأن يجمع قلوبهم من حوله، وأن يجعلهم رهن إشارته وطوع يمينه، وقد كان الرجل ذا لسان، وذا ذكاء متوقد، وكان على حداثة سنه آنذاك من بعد النظر والدهاء السياسي ما يرتفع به إلى أوج العباقرة.

وهذا ما يفسر لنا كيف أنه لم يكد يقضي في خراسان عاماً أو عامين حتى صدر إليه الأمر من الإمام بالخروج من السر إلى العلن في الدعوة، وليس هذا وحسب بل والتصريح بأنها لبني العباس، وقد روى صاحب الأمم والملوك: ما كان من ذلك من طرق كثيرة، وهذا هو ما رواه لنا من طريق المدائني علي بن محمد قال:[1] لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان حتى وقعت العصبية بها، فلما اضطرب الحبل كتب سليمان بن كثيِّر إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم الإمام يسأله أن يوجه إلى خراسان رجلاً من أهل بيته، فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم، فبعث أبا مسلم فلما كان في سنة تسع وعشرين ومائة، كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس، فخرج في النصف من جمادى

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٣ - ٣٣٥.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

الآخرة في سبعين نفساً[1] من النقباء والدعاة، فلما صار بالدانقان من أرض خراسان عرض له كامل - أو أبو كامل - قال أين تريدون قالوا: الحج غير أن أبا مسلم قد خلا به فدعاه فأجابهم، وكف عنهم، ومضى أبو مسلم إلى أبيورد[2] فأقام بها أياماً ثم سار إلى نسا[3] وكان بها عاصم بن قيس السلمي عاملاً لنصر بني سيار، إلى بني أمية على خراسان، فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسي إلى أسيد بن عبدالله الخزاعي ليعلمه قدومه، فمضى (الفضل) فدخل قرية من قرى نسا، فلقي رجلاً من الشيعة يعرفه، فسأله عن أسيد، فانتهره فقال: يا عبدالله ما أنكرت من مسألتي عن منزل رجل؟ قال: إنه كان في هذه القرية شر، سعى برجلين قدما إلى العامل، وقيل: إنهما داعيان وأخذهما وأخذ الأحجم بن عبدالله، وغيلان ابن فضاله، وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان، فانصرف الفضل إلى أبي مسلم وأخبره فتنكب الطريق وأخذ في أسفل القرى، وأرسل طرخان الجمال إلى أسيد وقال: ادعه لي ومن قدرت عليه من الشيعة، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه. ومضى طرخان إلى أسيد فأخبره بما وقع له، وأنبأه بأن لديه كتباً من الإمام إلى أبي مسلم الذي انتظر حتى أتاه أسيد ورفعها إليه،

---

(١) عله يعني بهم الدعاة.

(٢) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس وفسا، يكثر فيها خروج العرق، فتحت أبيورد على يد عبدالله بن عامر بن كريز سنة ٣١هـ، وقيل: فتحت قبل ذلك على يد الأحنف بن قيس.
ياقوت: معجم البلدان، جـ ١، ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) نسا: مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين أبيورد وبين سابور ستة أو سبعة، وهي مدينة وَبَئَةٌ جداً.
ياقوت: المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

ولما قرأها أخذ طريقه إلى قومس[1] وهناك جاءه كتابان من الإمام أحدهما له والآخر إلى سليمان بن كثيِّر، وقد جاء في كتاب أبي مسلم « إني قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث لقيك الكتاب، وابعث إليَّ بما معك قحطبة بن شبيب »، وامتثل أبو مسلم للأمر وبعث قحطبة إلى الإمام، وعاد هو أدراجه إلى خراسان، وفي الطريق مروا بنسا حيث استقبلهم صاحب مسلمة هناك وأرسلهم بدوره إلى عاصم بن قيس السلمي الذي أمرهم بالارتحال، وأغرى بهم صاحب شرطته لإزعاجهم، غير أن أبا مسلم استطاع أن ينصحه إلى دعوته. ومضى الرجل حتى نزل مرو وهناك دفع كتاب ابن كثير إليه، وفيه يأمره الإمام أن يجهر بدعوته ولا يتريث. واجتمع القوم وولوا عليهم أبا مسلم، وقالوا: رجلاً من أهل البيت، وبايعوه على السمع والطاعة، وقد يتساءل الباحث كيف ولى الشيعة أبا مسلم عليهم وبايعوه، وقد ولاه الإمام من قبل، وأخذ من ابن كثير ومن كان معهم العهد بالطاعة والانقياد له؟ والجواب: أن هذا قد كان منهم على سبيل التأكيد والتوثيق، وإظهار ما في أنفسهم من الإخلاص للرجل حتى يزداد عزماً إلى عزم وقوة إلى قوة.

وواضح من رواية المدائني هذه أن إبراهيم الإمام قد عزم على إخراج دعوته من السرية والكتمان إلى الجهر والإعلان، وأنه قد عهد بهذه المهمة الخطيرة إلى أبي مسلم وإلى سليمان بن كثير معاً، وأن الأول قد كان هو النائب والمسؤول الذي وضعت أعباء هذه الدعوة على عاتقه، والدليل على

---

(١) قومس: بالضم ثم السكون، وكسر الميم، والسين مهملة، وهي تقع في الإقليم الرابع، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبل طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري، نيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيارده.

هذا أن إبراهيم الإمام قد بعث كتابين لم تختلف عبارة أحدهما عن الآخر، ووجه أحدهما إلى أبي مسلم ووجه الآخر إلى ابن كثير، ولو أنه لم يكن يريد المشاركة، وتَعَاون الرجلَيْن كلَيْهِما على الجهر بالدعوة لما أرسل إلا إلى أبي مسلم.

وواضح من هذه الرواية أن إبراهيم الإمام قد أرسل إلى أبي مسلم يطلب منه أن يسير إليه قحطبة بن شبيب بعد أن كان قد أمره هو بالمسير إليه. والسبب في هذا هو : أن الرجل قد أدرك أن الجهر بالدعوة سوف يفتح الباب على مصراعيه للحرب بين الدعاة في خراسان، وبين العمال عليها من قبل الأمويين، وأنه ينبغي أن يكون الذي يتولى أزمة الحرب شخص، وأن الذي ينبغي أن يتولى أزمة الدعوة شخص آخر، ولهذا أرسل في طلب قحطبة ليتولى أزمة القتال، وأبقى أبا مسلم ليتولى أزمة الدعوة والدعاة.

وقد يتساءل الباحث ولماذا لم ينط هاتين المهمتين بأبي مسلم؟ والجواب: أنهما كانتا من الصعوبة وبالثقل بحيث لا يستقل بهما رجل. وسبب ثان: وهو أن أبا مسلم قد تظاهر بأنه رجل من الموالي حتى يستطيع استقطابهم إليه. واستخلاصهم له. وقد شاع ذلك، وانتشر فأراد إبراهيم الإمام أن يَكِلَ مهمة القتال إلى رجل لا يختلف أحد في أنه من العرب لأنه يكون بهم أخبر، وعلى قتالهم أقوى وأقدر. ولهذا وقع اختياره على قحطبة بن شبيب الطائي اليمني ونحن على علم بأن اليمن كانوا أقرب إلى إبراهيم وأهل بيته من المضريين الذين كانوا يعتبرون أعداءه التقليدين.

سير الدعوة ومناقشة الروايات التي رويت بذلك :

ومهما يكن من شيء فإن أبا مسلم[1] وابن كثيِّر كليهما قد صدعا بالدعوة، ورفعا الظل والسحاب وهما لواءان بعث الإمام بهما إلى نائبه على هذا الإقليم - وقد فسر الظل بالدوام والاتساع، وفسر السحاب بالبقاء والاستمرار، ومعنى هذا أن خلافة ابن العباس سوف تتسع وتدوم، وأنها سوف تبقى فيهم إلى آخر الدهر. وتختلف روايات الطبري في الأمكنة والأزمنة التي واكبت إعلان الدعوة، وتتناقض تناقضاً لا سبيل إلى تلافيه، فبينما تذكر رواية أبي الخطاب أن[2] وصول أبي مسلم إلى مرو قد كان في يوم الثلاثاء التاسع من شعبان وأنه قد تحول منها إلى فنين[3] وأن إرساله الدعاة للجهر بالدعوة قد كان لخمس بقين من شهر رمضان. تذكر رواية المدائني[4] أن تحول الرجل من فنين إلى سفيذنج[5] قد كان في الأول من رمضان، وأنه جهر فيها بالدعوة، وصلى فيها العيد، وأن الذي أم الشيعة هو سليمان بن كثيِّر.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٦.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٤٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٣٥٥.

(٣) فنين: بالفتح ثم بالكسر، وياء مثناه من تحت ساكنة ونون، وأهلها يقولون فني، بغير نون وهي قريه عامرة وأحسن من مدينة مرو.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٢٧٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٥.

(٥) سفيذنج: بالفتح ثم الكسر من قرى مرو، ينسب إليها أبو أحمد عبد الرحمن بن أحمد السفيذنجي.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص ٢٢٨.

أما الرواية الثالثة[1] هي لأناس لم يصرح الطبري بأسمائهم قد حددت تحول أبي مسلم إلى فنين باليوم السابع من رمضان، وأنه قد صلى العيد في هذه القرية ذاتها، وأن الذي أم الناس هو القاسم بن مجاشع.

وواضح من هذه الروايات الثلاث أنها متناقضة كما أسلفت، وأن التناقض فيها قد وصل إلى الحد الذي يتعذر معه الجمع والتوفيق. وإذا كان لي أن أرجح إحدى هذه الروايات على الأخريين فإني أرجح رواية المدائني، وحجتي في هذا أن هذه الرواية هي التي تصرح بأن الجهر بالدعوة قد كان في قرية سفيذنج، وأن الذي أم الناس في صلاة العيد هو ابن كثيِّر. وقد مر بنا أن إبراهيم الإمام قد أشرك ابن كثير مع أبي مسلم في الجهر بالدعوة، وأنه قد أرسل إليه كتاباً كما أرسل إلى أبي مسلم كتاباً، ومر بنا كذلك أن أبا مسلم لما نزل مرو التقى بابن كثير ودفع إليه بالكتاب الذي أرسله الإمام إليه.

أما الروايتان الأخريان فيمكن قبولهما على اعتبار أن القاسم بن مجاشع قد صلى العيد هو ومن كان معه في قرية فنين، ثم أقبل وإياهم إلى أبي مسلم بعد ذلك، أو أن المراد بالعيد هنا ليس هو عيد الفطر، وإنما هو عيد النحر وهذا هو ما صرحت به رواية أبي الخطاب. وسواء أصح هذا الذي ذهبت إليه أو لم يصح، فإن الدعوة قد خرجت من مرحلة السر والكتمان إلى مرحلة الجهر والإعلان، وأن الذي تولى ذلك نيابة عن الإمام هو أبو مسلم، وابن كثيِّر كلاهما.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٣.